إلى طلبة التوجيهية :

شاعران فى المنفى

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

(تتمة مانشر فى العددين السابقين)

— ٣ —

شوقى أثرى صوراً ، وأطرف خيالا ، وأبرع معنى ، فنحن لا نجد فى معانى البارودى مبتكراً مستحدثاً ، وإنما هى معان شائعة سبق بها ، وطالما كررها فى شعره وهو بسرنديب .

ونزعته إلى محاكاة الأقدمين غالبة على تصوره ومعانيه ، حتى إن بعضها لا يلائم العصر الذى عاش فيه كالدعاء للمنزل بالسقيا ، وهو دعاء يلائم الصحراء حيث الجفاف وندرة الأمطار ، وبأن تهب عليه ريح الصبا ، وهى ريح كان يستطيبها أهل الحجاز لأنها تهب لطيفة من الشرق ، وطالما تغنى بها الشعراء ، ولكن ريح الشرق فى مصر سموم ورمال ، ومثل تعبيره عن مصر بوادى الأراك وليس الأراك من شجرها ، وذكره شجرة الرند وليست من نباتها ، وتقديره إطراب شعره بأنه ألذ من الحداء وقد انقضى زمن الحداء ونعم الناس منذ زمن بعيد بالموسيقى والغناء ، وفى بعض معانيه ضعف مثل قوله لسيفه :

أقول له والجفن يكسو نجاده دموعاً كرفض الجمان من العقد

فليس فى تشبيه دموعه بحبات اللؤلؤ براعة ، لأن هذا التشبيه يستجاد من شاعر يشبه دمع محبوبته قاصداً الجمال والنفاسة ، ولكن البارودى فى حال باك حزين لا يلائمه إلا تصوير الدموع بأنها حارة تكوى ، أو غزيرة لا تنقطع كما صور شوقى ، على أن البكاء ليس من مفاخر الرجال . وفى خياله تناقض مثل شكواه من الوحدة وأنه لا يرى صديقاً بعد عدة أبيات من تقريره أن العائدات يعدنه ويعطفن عليه .

ولكنا نجد فى صور شوقى ومعانيه ما يهز النفس ، كتصويره حال الطائر الغريب اللهفان إلى وطنه ، الظمآن إلى مائه يجرر ساقيه وذيله باحثاً عن دواء ، وكتصويره حال مصر نفته مرغمة وهى تحبه وتود سلامته وتأمل عودته بحال أم موسى ألقته فى اليم وامقة به مسلمة أمرها وأمره لله ذى الرحمة ، ضارعة إليه أن يكلأه بعنايته ، وكطلبه من المطر أن ينزل على مصر برداً وسلاماً فى نغم رتيب وإيقاع عجيب ، وكوصفه للأهرام هذا الوصف البارع .

على أن قصيدته لم تخل من تراكيب قليلة متأثرة بالتصوير القديم مثل قوله للبرق :

بالله إن جبت ظلماء العباب على نجائب النور محدواً بجبرينا

يقصد بنجائب النور النور الشبيه للنوق المسرعة ، وليس هذا بشىء .

ومثل قوله : « ريش الفراق لنا سهماً » وليس السهم الريش ولا غير الريش من أدوات القتال فى العالم المتحضر .

— ٤ —

أجاد شوقى فى اختيار المفردات وصوغ التراكيب إجادة أشاعت فى القصيدة موسيقى ورنيناً ، وأجاد اختيار القافية نونا بعدها ألف ليست تلائم الحنين والألم ، وأجاد البارودى فى انتقاء كلماته ، وجنح إلى الجزالة والفخامة وإن حرمت قصيدته موسيقية شوقى ، على أنه استعمل كلمات مبهمة المعنى مثل « لا يعبد ولا يبدى » .

— ٥ —

وبعد فكل من القصيدتين مرآة لنفس قائلها ، تتجلى فى قصيدة البارودى صرامته وشجاعته وجنديته واعتداده بنفسه وبآبائه المماليك ، وولعه بمحاكاة الأقدمين فى أساليبهم ومعانيهم وأخيلتهم .

وتتجلى فى قصيدة شوقى ثقافته التاريخية ، وحبه لمصر ، واعتزازه بماضيها المجيد ، وفخره بماضى العرب ، وتغنيه بجمال الطبيعة فى مصر ، وكلفه بموسيقة أسلوبه ، وابتداع معانيه وافتنان خياله .

على أن قصيدة شوقى خير من قصيدة البارودى فيما اتفقتا فيه من أغراض ، ومتفردة ببعض أغراض ، وإذا كان شوقى قد تتلمذ للبارودى فقد برزه ، وما أهنأ للأستاذ أن يفوقه تلميذه .

أحمد محمد الحوفى
المدرس بالسعيدية الثانوية